المجاز

(تابع لما في الجزء السابع)

بيد أنّا لا بدّ ان نقول ان الوصول باللغة الى هذه الغاية لا يستتبّ لنا الا بعد تدارك ما فاتنا من اوضاع المتقدمين واستقرآء ما اشتملت عليهِ مصاحف اللغة من الفاظهم لان كل ما سبق لنا ذكرهُ في هذا المبحث من التنبيه على اقيسة الاشتقاق وطرق المجاز ليس الا بياناً لطريقة العرب في وضع لغتهم وتفريع بعض الفاظها من بعض ولكن هذا لا يغني عنا شيئاً في تحدّيهم والجري على سنّتهم ما لم نُحِط بالفاظهم انفسها لنتنزل منها منزلتهم والا كنا كمن يحاول بنآء بيتٍ ولا حجارة لديهِ. ومعلوم ان الباقي من اللغة في استعمالنا ونعني بهِ الفصيح من الفاظها او ما يمكن ردّهُ الى الفصيح ليس الا جانباً يسيراً منها اذا جرّد بنفسهِ لا يكفي لأن يكون لغة قومٍ من الاقوام مهما انحطّت منزلتهم من الحضارة وقلّت حاجاتهم ولذلك ترانا نستعين بالالفاظ العاميّة تارةً والاعجمية أخرى لتصوير ما نرومهُ من الاغراض وذلك خلا أن جُلّ الفاظنا مقصورٌ على معانٍ لا تتعدى حاجات المعاش واغراض المعاشرة والمعاملة في ابسط حالاتهما بحيث لا تجد في كل معنًى الا اللفظ الكلي الذي يعبَّر بهِ عن جنس ذلك المعنى دون ما يقع تحتهُ من الجزئيات باعتبار ما تتصف بهِ من الاحوال المتباينة والهيئات الخاصة. وهذا ولا جرَم مما زاد اللغة في هذا العصر على ضيقها ضيقاً وربما اوقع في وهم الكثيرين من مزاولي الكتابة والتأليف انها قاصرة عن اداء الاغراض المَدَنية والعلمية وانها لا تصلح الا

لرعاة الابل وسكان المضارب . ولكن من تصفح دواوين اللغة نفسها علم ان العرب لم تكن بمعزلٍ عن كثيرمن معاني الحضارة وان لم يبلغوا بها حضارة الفُرس مثلاً لعهدهم وقدكان منهم اهل تجارةٍ وصناعة وزراعة وبحارة كما يشهد بذلك المنقول من الفاظهم وكانت لهم خُلطةٌ مع الهند والفرس والروم من قبل زمن الاسلام بكثير. وهذا فضلاً عما حدث بعدهم في عهد الحضارة الاسلامية من الالفاظ العلمية والسياسية والصناعية وغيرها مما لا يخلو ان يسد بعض هذه الحاجة بنفسهِ ولو بتبديل شيء من حدّهِ الذي كان متعارفاً عندهم لان المعتبر في الالفاظ صدقها على مدلولاتها في الجملة ولو اختلف حدّها في اعتبار المعتبر

ونحن نورد هنا بعض الالفاظ المشار اليها مما نطقت بهِ العرب قديماً ومما وُضع على عهد الاسلام ليكون مصداقاً لما ذكرناهُ وحاثاً للمتأدبين والكتّاب على تصفح اسفار اللغة وكتب العلم واقتباس ما تتسع بهِ مذاهب التعبير امامهم . ولنأخذ من اوضاع العرب ما كانت تعبّر بهِ في بعض احوال التجارة وهو لا ريب من ابعد ما يقع في الظن انهُ كان موجوداً عندهم ومن اقل ما نطقوا بهِ فعلاً ولكنك لا تكاد تجدهُ اليوم حتى في كلام الخاصة فضلاً عن العامة وبهِ يقاس مبلغ ما انتهت اليهِ اللغة في هذا العهد من الضعف والاهمال . فمن ذلك قولهم فلانٌ من باعة الكسر اذا كان يبيع كل سلعةٍ وحدها وهو خلاف بيع الجملة وقد كسر بضاعتهُ وأختاها إختاءً اذا باعها كذلك . وقولهم فلانٌ يشتري القَفَلات اي الجلَب الكثير جملةً واحدة . فان اشترى رزَماً رزَماً دون الاحمال فهي المقاضمة . فاذا اوجب البيع على

ان يترك ما اشتراهُ عند البائع ثم يأخذهُ اولا فاولا فهو الوجيبة فاذا فرغ قيل قد استوفى وجيبتهُ . فاذا احتبس البائع السلعة حتى يقبض ثمنها قيل قد اعتقبها . ويقال اشترى هذا الشيء مقاطرةً وهو ان يزن جُلّةً من تمر او عِدلاً من حبّ او غير ذلك ثم يأخذ ما بقي على حساب الذي اخذهُ ولا يزنهُ . وتقول اعطيك من ضِمْد هذه الغنم اي من جيّدها ورديئها من غير تمييز . ويقال ماكَسَهُ في البيع اذا استحطّ من الثمن وطلب الانتقاص وقد تماكس البيّعان أي البائع والشاري اذا تشاحّا على الثمن اي تجادلا عليهِ . وكايَسهُ في البيع اذا داهاهُ حتى يغبنهُ . ويقال رجلٌ دَحِل اذا كان يماكس عند البيع حتى يستمكن من حاجتهِ . وروَّقتُ لفلان في سلعتهِ اذا زدت في سومها وانت لا تريدها . وأرهن فلان في السلعة اذا غالى بها وبذل فيها مالهُ حتى ادركها . وتقول بعني هذه السلعة بصِبْغ ثمنها لا وَكس ولا شَطَط اي بالثمن الذي تستحقهُ من غير نقصٍ ولا زيادة . ويقول المَغبون أَغمِضْ لي فيما بعتني وغَمِّضْ لي اذا طلب الزيادة منهُ لردآءتهِ او الحطّ من ثمنهِ وقد استحطَّهُ من الثمن واستوضع منهُ . ويقول البائع برئت اليك من عُهدة هذا المبيع اي من عيبٍ يكون فيهِ . وأبيعك المَلَسَى لا عُهدة اي تملس بما اشتريت ولا اضمن تَبِعتهُ . وتقول حاباني فلانٌ في البيع ورافأني وأَنباع لي في سِلعتهِ اي ساهلني وسامحني . وهذا القدر كافٍ في هذا المقام ومن تفقد كتب اللغة وجد غير ذلك ايضاً خلا ما يُذكَر في كتب المعاملات مما لم نكد ننقل شيئاً منهُ لشهرتهِ

ولا بأس ان نزيد هنا الفاظاً أخرى في معانٍ متداوَلة لا نقصد

المناسبة بينها وانما نذكر منها ما يحضر الذاكرة . وذلك كقولهم غملتُ الرجل وغمنتهُ اذا أُلقيتَ عليهِ الثياب ليعرق . وقولهم دَرَّم اظفارَهُ اذا سوّاها بعد القصّ . وبلَّغ الفارس تبليغاً اذا مدَّ يدهُ بعنان فرسهِ ليزيد في جريهِ . وقولهم جاءتني جَبْهَةٌ من الرجال وهم الذين يسعون في حَمالةٍ اومغرَم فلا يأتون احداً الا استحيا منهم . وقولهم لَصِبَ السيف ولَحِج اذا نَشِب في الغمد فلم يخرج ولَصِبَ الخاتم في الاصبع اذا تعذر نزعهُ . وضَرَس البنآء اذا سدّ بين خَصاصهِ بحجر. وأُكتار الفرس اذا رفع ذيلهُ عند العَدْو . وتداحا الشيء بينهما اذا حملاهُ على عود . واغترق الفرسُ الخيلَ اذا خالطها ثم سبقها . وهَدَر الغلام اذا اراغ الكلام وهوصغير. وبَزَم وتر العود اذا اخذهُ بين السبّابة والابهام ثم ارسلهُ . ولاوَص الشجرة اذا اراد قطعها بالفأس فنظر يمنةً ويسرةً كيف يأتيها . وناض الوتد ونحوهُ اذا عالجهُ لينتزعهُ . ومن ذلك قولهم كَلَّ السكين والسيف وهو قفاهُ . وصِغْو المِغرفة اي جوفها وجعلت هذا الشيء في صِغوكفي . والعَسيل مكنسة شعر يكنس بها العطّار بلاطةُ من العطر. والبصيرة ما يعلّق على الباب من شُقّة قطن او غيرهِ . والكِلّة الستر الرقيق يخاط كالبيت يُتوقى بهِ البعوض . والقَرِّية عود الشراع الذي في عرضهِ من اعلاهُ . والحِجار ما يحيط بالسطح من البناء يقي من السقوط . والمِسماة جورب الصيّاد . والطَلّاسة خرقة يُمسَح بها اللوح وقد نَجَل الصبيُّ لوحهُ اذا محاهُ. والوفيعة الخرقة يمسح بها الكاتب قلمهُ . واللحَق في النخل والكرم الثمر يخرج بعد ادراك الثمر الاول وقس على كل ذلك ما لا يُحصى

واما الالفاظ المولّدة فمما يلحق باللغة منها الإِلهام للهداية المخلوقة في الحيوان جآء في كلام ابن خلدون وربما عبّر عنهُ بالهداية ايضاً . والوزائع للضرائب التي يوزّعها الحاكم وهي في كلام ابن خلدون ايضاً وكأن مفردها وزيعة على حدّ ضريبة وضرائب . وفي الاغاني ندَّر الرجل وتندَّر اذا جآء بالنادرة وربما قيل نادرَ وتنادر وقد ندَّر بفلان وتنادر عليهِ اذا جعلهُ مورد نادرتهِ . وفي كلام الثعالبي تطرَّف بالشيء اذا اتخذهُ طُرفةً وهي الشيء المستملَح . وجآء في الاغاني في اخبار يونس الكاتب لمسعود بن خالد المورياني من ابيات

تنشُرُ ديباجاً واشباههُ وهم اذا ما نشروا كَرْبَسُوا

اي جآؤا بالكرباس وهو نسيجٌ ابيض من قطن فارسيٌّ معرَّب فبنى منهُ فعلاً . وفي شفآء الغليل النيزك رمحٌ قصير فارسيٌّ معرَّب واستعملهُ الحكمآء في شعلةٍ تُرَى كالرمح وهو احد اقسام الشهُب . وفيهِ النجاب اسمٌ للبريد وقد يُخَصّ بمن يجيء على ناقةٍ نجيبة . قلنا ولعل هذا هو الاصل في هذه التسمية فيكون من باب ذي كذا على حدّ عطّار واشباههِ . وجآء في نفح الطيب بلادٌ معتدلة المزاج يريد اعتدال هوآئها نقلهُ عن مزاج البدن وهو ما رُكّب عليهِ من الطبائع . وذ بهِ جمعت هذه الفوائد من مقيّدتي وهي الدفتر يكتب فيهِ الرجل ما يمرّ بهِ تذكرةً لنفسهِ . وقريبٌ منها التذكرة وهي الرقعة يُكتَب فيها الشيء ليُتذكر جآءت في كلام الحموي صاحب خزانة الادب . ومن ذلك المِزْوَلة للساعة الشمسية ذكرها الخفاجي في ريحانة الالبآء . والثريا للتي يُستصبَح بها وهي المعروفة في هذا القطر بالنَجَفَة جآءت في كلام صاحب

نفح الطيب . والعقال لما يُشدّ على الرأس جآء في شعرٍ لأَبي فراس . وخيال الظلّ للامثلة المشبَّحة من ورآء ستار وهو لفظٌ مشهور وغير ذلك مما يطول استقرآؤهُ فنكتفي منهُ بما ذُكر

واما الاصطلاحات الخاصّة فمنها في مواضعات كتّاب ديوان الخراج الحَشْريّ وهو ميراث من لاوارث لهُ وهو المعروف في ايامنا بالمحلول . والإقطاع وهو ان يُقطع السلطان رجلاً ارضاً فتصير لهُ رقبتها وتسمى تلك الأَرَضون قطائع واحدتها قطيعة . والطُعمة وهي ان تُدفع الضيعة الى رجلٍ ليعمرها ويؤدّي عشرها وتكون لهُ مدة حياتهِ فاذا مات ارتُجعت من ورثتهِ والقطيعة تكون لعقبهِ من بعدهِ. والتسويغ وهو ان يُترَك للرجل شيءٌ من خراجهِ في السنة وكذلك الحطيطة والتريكة . ومن مواضعات كتاب ديوان الجيش الأَطماع وتسمى الرَزَقات وهي مرتَّبات الجند والعمال . والتدليظ وهو ان يُطلَق لطائفةٍ من المرتزقين بعض ارزاقهم قبل ان يستحقّوا وقد لُمّظوا بكذا وكذا . والمناصّة وهي ان يُحبَس عن القابض لماله ما كان تلمظهُ واستلفهُ . ومن مصطلحات المهندسين الشكل الناري وهو جسمٌ يحيط بهِ اربعة سطوح مثلثات متساوية الاضلاع . والشكل الارضي وهو جسمٌ يحيط بهِ ستة سطوح مربعات متساوية الاضلاع والزوايا على هيئة كعب النرد وهو المعروف بالمكعَّب. والشكل الهوآئي وهو جسمٌ يحيط بهِ ثمانية سطوح مثلثات متساوية الاضلاع والزوايا . والشكل الفَلَكي وهو جسمٌ يحيط بهِ اثنا عشر سطحاً مخمسات متساوية الاضلاع والزوايا الى غير ذلك . ومن اصطلاحات اهل الموسيقى اوتار العود الاربعة اغلظها البمّ ويليهِ المَثلَث ثم المَثنَى ثم الزير

وهو ادقها . والملاوي وهي الآذان التي تُلوَى عليها الاوتار . ومشط العود وهو الشبيه بالمسطرة الذي تشد عليهِ الاوتار من تحت انف العود وهو مجمع الاوتار من فوق . والابريق وهو اسمٌ لعنق العود بما فيهِ من الآلات . والمضراب وهو الذي تُضرَب بهِ الاوتار . والجسّ وهو نقر الاوتار بالسبابة والابهام دون المضراب على التشبيه بجسّ الغرق وقد تقدّم البزم بمعناهُ . والحزق وهوشدّ الوتر ونقيضهُ الارخآء والحطّ[1] . وقد اطلنا الى ما لعلهُ إدّى الى سأم المطالع فنمسك على هذا القدر ومن تتبع هذه النظائر في كتبهم وجد من كل ذلك ما يملأ مجلداتٍ كثيرة وانما اوردنا هذه الامثلة القليلة بياناً لما كانت عليهِ اللغة في عهد السلف مما لم يصل اليها منهُ الا النزر اليسير. ومن غريب ما يُذكَر هنا انك تجد كثيراً من هذه الالفاظ في لغات الافرنج منقولةً بلفظها العربيّ وربما اضطررنا ان نأخذ بعضها من لسانهم كالكُحل (alcool) والغرّافة (carafe) وغيرهما فسبحان مقلب الاحوال

(ستأتي البقية)

رياضة الحيوان

المراد بالرياضة إعمال عضلات الجسم لتقويتها وهي مما لا يستغني عنهُ الحيوان كما لا يستغني عنهُ الانسان ولا سيما في زمن نموّ الجسم ولذلك ترى اللعب والاكثار من الحركة طبيعياً في الصغير من الانسان وغيرهِ . ومن

(١) كل هذا عن كتاب مفاتيح العلوم لمحمد بن احمد الخوارزمي من اهل المئة الرابعة للهجرة باختصارٍ وتصرفٍ قليل

أميل الحيوان الى هذا النوع من الحركة القرود فانك ترى القرد المحبوس في قفصهِ دائم الحركة والتسلق والنزول لا يكاد يسكن طرفة عين وهو شأن معروف في القرود في الآجام والادغال البرية فانها دائمة الوثوب من شجرةٍ الى شجرة ومن غصنٍ الى آخر وكثيراً ما تتعلق بقوائمها او باذنابها وتترجح في الهوآء ثم تعاود وثوبها . وقد ذكر بعضهم انهُ رأى غزلاً يرقص فكان في اثنآء رقصهِ يثب وثبات عالية ويدور على نفسهِ في الهوآء ثم يدرك الارض واقفاً على قدميهِ وبعد ذلك يترنح فيميد ذات اليمين وذات الشمال كما يفعل السكران . وذكر غيرهُ انهُ رأى واحداً من نوع الجبّون وهو صنفٌ منهُ قريبٌ من الاوران يتسلق بسرعةٍ غريبة على قضيبٍ من الخيزران او على طرف غصنٍ ويترجح عليهِ ثم يثب عنهُ مقذوفاً بقوّة الغصن نفسهِ فيذهب مسافة اثني عشر او ثلاثة عشر متراً ثم يتعلق بغصنٍ آخر فيفعل مثل ذلك حتى كأنهُ يطير بغير جناح وكذلك دأبهُ على الدوام فيقضي من حياتهِ في الهوآء اكثر مما يقضي بين الاغصان

وللكلاب مثل هذا الولوع بكثرة الحركة والجري حتى ترى هذه الكلاب الصغار التي تتبع اربابها في السكك لا تزال في حركةٍ حولهم فتذهب يمنةً ويسرةً على عرض الطريق وربما رجعت ادراجها مسافة ثم تعود فلا يقطع ربها مسافةً حتى تكون قد قطعتها مرّات . قيل وفي طبع الكلاب حبُّ التزلج كما يفعل الغلمان وقد حكى بعضهم انهُ بينما كان مسافراً في بعض جبال الألب انفرد عنهُ كلبهُ الى منحدَرٍ كان مكسوًّا بالثلج فاستلقى على ظهرهِ وجمع قوائمهُ فوقهُ وقد جعل رأسهُ الى جهة الاسفل ليكون تزلجهُ موافقاً لميل

شعرهِ ثم تزلج على ذلك الثلج المتجمد حتى انتهى الى حضيض الجبل ولما بلغ منقطع الثلج نهض ثم نظر الى صاحبهِ وهو يبصبص بذيلهِ واضطجع على الكلأ ينتظرهُ

ومثل الكلاب في ذلك الوعول وقد حكى من شهدها انها تقصد الشهوب (جمع شَهْب وهو الجبل علاهُ الثلج) أسراباً في مدة الصيف فاذا بلغت مأمنها في القُنَن العالية تنفرد جماعةٌ منها فتضجع على طرف الشاخص من القُنّة وتزحف بقوائمها الاربع حتى تبلغ منحدر الجبل ثم تترك انفسها فتتزلج الى الاسفل وتقطع في تلك المسافة ما لا يقل عن مئة او مئة وخمسين متراً ومتى بلغت الحضيض تستوي على قوائمها وتعود الى حيث كانت فتأخذ مكانها جماعةٌ اخرى فتفعل فعلها وتقف الاولى تنتظر فاذا فرغت وعادت رجعت الاولى فتزلجت فلا تزال تتعاقب كذلك مراتٍ واحياناً يلي بعضها بعضاً فتتزلج معاً فيكون هناك منظرٌ من ابدع المناظر

ولا حاجة الى وصف ما يفعلهُ من ذلك سائر انواع الحيوان كالعِفآء والحُملان والجِدآء والغزلان والخنازير والارانب وغيرها وما يحدث بين بعضها احياناً من المواثبة والعراك على غير عداوةٍ ولا قصد سوى الرياضة البدنية وهو من الالهام الطبيعي في الحيوان

وهذا كلهُ غير مقصور على حيوان البرّ ولكنهُ كثيراً ما يُرَى في ذوات الثُدِيّ من حيوان البحر واشهرهُ في ذلك نوع الدُلفين فانهُ يجتمع صفاً طويلاً بعضهُ بجانب بعض ويقطع كذلك مسافاتٍ طويلة في البحر وهو يتواثب بخفةٍ وسرعة فيذهب في وثبتهِ متراً او مترين في الهوآء على شكل قوس

وبعد ما يغوص في المآء يعود الى مثل ما فعل اولاً وربما دار بعضهُ على نفسهِ في تلك الوثبة وهو يضرب بذنبهِ وقد ينتصب واقفاً ويرقص على وجه المآء ويثب مراتٍ في الهوآء . واكثر ما يكون ذلك منهُ اذا رأى سفينةً قد نشرت اشرعتها وهي تخترق عباب المآء فانهُ حالما يراها يتجمع ويدور حولها ثم يدنو منها فيثب امامها او على جوانبها وهو يذهب ويجيء وكلما ازدادت سرعتها ازدادت حركتهُ حولها فيكون ذلك من اجمل ما يتلهى بهِ المسافرون

واما الطير فيقضي اكثر حياتهِ في الرياضة لانهُ دائم التنقل والطيران ومع ذلك فان لهُ رياضاتٍ مخصوصة فمنهُ ما يحلّق في اعالي الجوّ كالجوارح ومنهُ ما يثب ويتراقص بين اغصان الشجر كالعصافير ولبعضهِ حركاتٌ مستملَحة ولا سيما الببغآء فانهُ كثير العبث في حركاتهِ وبعضهُ يرقص رقصاً بديعاً . وقد اطنب هَدْسُن في وصف رقص الطِيطَوَى وهو صنفٌ من القطا ذكر انهُ رآهُ في الجمهورية الفضية فروى عنهُ فصلاً غريباً ننقلهُ في هذا الموضع تفكهةً للقرآء.. قال يجتمع للرقص ثلاثةٌ من هذا الطائر وهو مولعٌ بالرقص لا ينفك عنهُ طول السنة نهاراً وليلاً حتى في الليالي المظلمة . وهو يعيش اثنين اثنين ذكراً وانثى فاذا اراد الرقص انفرد واحدٌ منهُ وجآء الى الزوجين المجاورين لهُ فيستقبلانهِ بكل ما يدل على سرورهما بهِ ويذهبان فينضمان اليهِ ثم يقفان ورآءهُ ويمشي الثلاثة بسرعةٍ بخطوةٍ متفقة وهنَّ يغردنَ تغريداً موقّعاً . فاذا فرغنَ يقفنَ وينشر المقدَّم جناحيهِ وينتصب واقفاً من غير حراك ويقف الآخران ورآءهُ ويغردان بصوتٍ عالٍ وقد نفشا

ريشهما ويميلان الى الامام والخلف حتى يمسا الارض باطراف منلقيرهما فيلبثان كذلك وهما يهيمان بصوتٍ منخفض واذ ذاك ينتهي الفصل فيعود الزائر الى انثاهُ و بعد ذلك يذهب احد الطائرين فيزورهما ويفعل الثلاثة كذلك . اه

الحياة في القمر

اجمع علمآء الهيئة على ان القمر جرمٌ هامد لا شيء فيهِ من الكائنات الحيّة ولا هو قابل لان يعيش فيهِ ذو حياة لانهُ لا يُرى فيهِ الا فوّهات براكين خامدة . على انهُ قد ظهر في بعض الكسوفات الكلية ان حولهُ شيئاً من الهوآء الجوّي على ما اشرنا الى ذلك غير مرة وقد نشر المسيو پيكرين الفلكي الاميركاني الشهير ما يدلّ على انهُ يعتقد ان القمر لم يبلغ تمام الهمود وانهُ لا يخلو من وجود هوآء ومآء وثلج وبالتالي لا يمكن القطع بانهُ خربةٌ خالية من كل حياةٍ حيوانية او نباتية . ووافقهُ على ذلك المسيو پرسيڤال لُوَيل فان هذين الفلكيين قد صنعا آلاتٍ بصرية في نهاية القوّة لرصد المريخ فاستخدما تلك الآلات لفحص وجه القمر ولبثا يرصدانهِ مدة سنةٍ كاملة . وقد تبين للمسيو پيكرين ان براكين القمر لم تخمد تمام الخمود فانهُ قد ظهر لهُ حدوث فوّهات في اماكن لم تكن فيها من قبل

وقد اعلن ما هو اغرب من ذلك وهو وجود ثلج على القمر وذلك انهُ رأى عدة فوّهات بركانية صغيرة يحيط بها مادّة بيضآء اذا وقعت عليها اشعة الشمس ظهرت بلمعان شديد ورأى مثل هذه المادّة ايضاً على الفوّهات الكبرى وعلى بعض قُنَن الجبال العالية ومنظرها يختلف تبعاً لاتجاه اشعة

الشمس الواقعة عليها وتتبدل اشكالها في بعض الاحيان بما يُستدلّ منهُ على ان هذا الاختلاف مرتب على ازمنةٍ تتعاقب تبعاً للفصول

وكذلك ذكر انهُ رأى بُقعاً ذات ألوانٍ متغيرة موقعها على الغالب ما بين ٥٠ درجة من العرض الشمالي و ٦٠ درجة من العرض الجنوبي وهذه البقع تكون دائماً بجوار الفوّهات الصغرى مستديرةً بها على هيئة اكاليل او محاذيةً لبعض الاخاديد الضيّقة الا ان منظرها يتغير بين موعدٍ وآخر ممايدلّ على تغير في السطح الذي ينعكس عنهُ النور الآتي من جهتها . والذي في رأيهِ ان اقرب ما يعلّل بهِ ظهور هذه البُقع انها نوعٌ من النبات الا انهُ قد لا يكون شبيهاً بالنبات الارضي

ويقول المسيو پيكرين ان هذه المناظر لا يمكن ان تكون مسببةً عن اختلاف الظلال على وجه القمر او عن نَوَدان القمر في فلكهِ ولكنها امورٌ متحققة تدل على اشيآء حادثة في سطح القمر نفسهِ . وعلى كل حال فان القطع بهذا القول لا يمكن الا بعد تكرار الرصد ولا سيما اذا امكن ابلاغ الآلات البصرية الى اتمّ ما هي عليهِ من الاتقان والله اعلم

السكّر في غذآء المسلولين

نشر الدكتور بليك احد اكابر اساتذة الطب في باريز فصلاً في الوقاية من السل الرئوي ذكر في جملتهِ منفعة السكّر في مقاومة هذا الدآء ننقل هنا محصّلهُ قال

لا يخفى ان السكّر كان يُستعمَل قديماً في معالجة كثيرٍ من الاحوال

المرضية ولكنهُ اهمل في جملة ما أهملهُ المتأخرون من الادوية القديمة . وحسبنا في ذلك ان نذكر ما كان عليهِ اطبآء العرب من اعتبار مربّى الورد بالسكّر من انجع الادوية في علاج السلّ وقد كان ابن سينا يستعملهُ في مداواة هذه العلة واستمرّ معتبراً كذلك عندنا الى عهدٍ غير بعيد من ايامنا كما ذكرهُ لازار ريفيار سنة ١٦٢٩ وكان المنصور يصف للمسلولين لبن الحمارة لكثرة ما يشتمل عليهِ من السكّر. وقد ذكر رُولّين من فائدة السكّر انهُ علاوةً على كونهِ من المغذّيات يُعدّ من افضل مضادّات الفساد وكان يذرّ منهُ على الجراح فيحصل عنهُ نفعٌ عظيم . ولا يُنكَر ان مضادّات الفساد كما نبه عليها المشار اليهِ تعد من افعل الذرائع في مقاومة السل

ومن المعلوم اليوم ان الاطعمة المحلاّة بالسكر فضلاً عن كونها نافعةً في المعالجة تنفع ايضاً في الوقاية والاحتياط . والسكّر من الموادّ التي يسهل امتصاصها وتمثيلها في البدن وهو زيادةً على ذلك يفيد البنية مقداراً عظيماً من الحرارة لا يكون اقلّ من نصف الحرارة التي تنشأ عن المواد الدهنية

اما كيفية استعمالهِ فلا يصلح ان يُعطَى بالحالة الطبيعية ولكنّ الافضل ان يُتخذ منهُ مربّيات تُخلَط عند الاقتضآء باللحم النيء (وهو علاجٌ قديم لتروسّو) او تُستعمَل بدونهِ وافضلها مربى البرتقال . ويُعطى ايضاً في بعض الاطعمة والمشروبات المحلاّة بهِ وغير ذلك من اصناف المتناولات ومقدار ما يؤخذ منهُ لا ينبغي ان يتجاوز ١٠٠ غرام في اليوم ويجب ان يكون من السكر النقي المتبلور لا يخالطهُ شيء من المواد الملوّنة ولا سيما اللازورد

مربعة ابن دريد

(تابع لما في الجزء السابق)

حرف الحاء

حماهُ النكرى طيفٌ يلمُّ بجفنهِ ويبعث ماء العين فهو سَفُوحُ
حرامٌ على عينٍ يسامرها البكا وجفنٍ رماهُ الوجد فهو قريحُ
حيامٌ[١] على ماء السلوّ وللهوى خواطرُ تغدو نحوهُ وتروحُ
حوى غاية البلوى فؤادٌ معذَّبٌ طوى عنهُ صدُّ حِبَّةٍ[٢] ونُزوحُ

حرف الخاء

خامرَتْ قلبهُ همومٌ تلظَّت نارها في الحشا فليس تَبُوخُ[٣]
خفيت في الفؤاد ثم اذاعت[٤] لدموعٍ تجيش ثم تسوخُ[٥]
خاف نأيَ الحبيب فاستصرخ الدمـــعَ وماء الجفون نِعمَ الصريخُ[٦]
خُنتَ من لو دعوتهُ وهو ميتٌ ظلَّ يُصغي مسارعاً ويُصيخُ[٧]

حرف الدال

دعا دمعَهُ الشوقُ المبرّحُ دعوةً فأَقبلَ لا يلوي[٨] ولا يترددُ
دموعٌ هي الماء الزلال وتحتهُ تضرُّمُ وجدٍ جمرهُ يتوقدُ
دواء فؤادٍ انت اعظمُ دائهِ لقاؤك[٩] والعذّال عنيَ رُقَّدُ

---

(١) مصدر حام وهو مبتدأ محذوف الخبر اي لهُ حيامٌ (٢) بكسر الحاء بمعنى حبيبهُ (٣) تخمد (٤) كذا ولعل الاصل ثمةَ ذاعت والضمير للهموم (٥) اي تغور وتنضب (٦) استصرخ الدمع استغاثهُ والصريخ المغيث (٧) بمعنى يصغي (٨) يمطل (٩) مبتدا خبرهُ دواء في اول البيت

دنوتُ فكافا بالدنوّ تباعداً فحتى متى ادنو اليهِ ويبعدُ

حرف الذال

ذاب من فرط شوقهِ القلب حتى عاد مما عراهُ وهو حنيذُ (١)
ذقتُ طعم الهوى مع الهجر مرًّا وهو ان مازَجَ الوصالَ لذيذُ
ذَرْعُ صبري يضيق ان مارسَ الشو ق فصبري اليك منهُ يعوذُ
ذاع ما كنتُ كاتماً من جوى الحبِّ م الذي ضمهُ الفؤاد الوقيذُ (٢)

حرف الرآء

رُبَّ ليلٍ اطالهُ أَلمُ الشو ق وفقدُ الرقاد وهو قصيرُ
راع فيهِ الكرى تباريحُ شوقٍ وخيالٌ جنحَ الظلام يزورُ
راقهُ منظرٌ انارَ فأورى لسناهُ ضوءُ الصباح المنيرُ
رشأٌ يقتل الاسودَ غريرٌ كيف يُردي الاسود ظبيٌ غريرُ

حرف الزاي

زَفراتٌ للقلب فيها اذا ما اضرمتها الهمومُ فيهِ أزيزُ (٣)
زعموا أنّ من يحبُّ ذليلٌ فكذا كلُّ من يُحَبُّ عزيزُ
زار تحت الكرى فسهَّلَ امراً كان ان رُمتُ وهو صعبٌ حريزُ
زِلتُ في امرهِ اكفكف دمعاً ساقهُ للجفون شوقٌ حميزُ (٤)

حرف السين

سيرةُ الوامق انقيادٌ اذا قِيدَ م ذَلولاً وهو الجَموح الشريسُ

(١) مشوي (٢) المدنف (٣) غليان (٤) زلت اي ما زلت فحذف الحرف . وحميز اي شديد

سِيمَ خسفاً فقال ان كان حظي منهم الضيمَ فهو حظٌّ تعيسُ
ساعدت عينهُ الفؤادَ فجادت فهي غرقى(١) ونورها مطموسُ
سَئِمَتْ نفسهُ الحياةَ وأكدِرْ بحياةٍ اذا أُجتوتها(٢) النفوسُ

حرف الشين

شابَ ماءَ الجفون بالدم شوقٌ ملأ القلبَ منهُ فهو يجيشُ
شفَّهُ الهمُّ فهو نِضوٌ سقيمٌ(٣) ايُّ نفسٍ مع الهموم تعيشُ
شَقِيَت بالسهاد مقلة صبٍّ بات والجمر تحتهُ مفروشُ
شام برقاً يحدو الرَّدَى فحداهُ لورود الحِمام حادٍ كميشُ(٤)

حرف الصاد

صوابٌ لعيني ان تَصُوبَ دموعها وقد شمّرتْ بالظاعنين القلائصُ(٥)
صرفتُ اليهم طرف عينٍ سخينةٍ وانسانها في لجة الدمع غائصُ
صباحاً وقد حالت دُوَينَ شخوصهم فِساح الفيافي والإكام الشواخصُ
صِباكَ ولا يُغلَبْ عليك وقد بدا شُعاعُ مشيبٍ في المفارق وابصُ(٦)

حرف الضاد

ضمانُ الله يكنُفُ من تولى وقلبي من تذكُّرهِ مريضُ
ضَنِيتُ وكيف لا يَضنَى محبٌّ يشرّدُ نومهُ دمعٌ يفيضُ

---

(١) كذا في الاصل (٢) كرهتها (٣) شفهُ أنحلهُ والنضو المهزول (٤) سريع (٥) تصوب تنحدر والقلائص النياق الفتيّة (٦) كذا رواية هذا البيت وكأن صباكَ اغراء اي الزم صباكَ ويقال غلبهُ على الشيء اذا غصبهُ اياهُ كأنهُ يقول الزم صباكَ ولا يفرق بينك وبينهُ المشيب بأن يحوزكَ دونهُ . والوابص اللامع

ضميري مرتع الاحزان دهري ... وطرفي عن سوى سَكَني[1] غضيضُ
ضِرام الشوق في أثنـآء قلبي ... وبين جوانحي جمرٌ فضيضُ[2]
(ستأتي بقيتها)

متفرقات

راحة يوم في الاسبوع ـ امتحن الدكتور شفرّد احد اطبآء الانكليز لزوم الجمام اي الفترة في العمل وما ينشأ عنهُ من التأثير في وظائف الاعضآء فاختبر ذلك في الخيل فوجد ان التي كانت تُراح يوماً في كل سبعة ايام ازداد عملها على نسبة ١٧ في المئة اي نحو السدس عن التي كانت لا تراح الا الراحة المعتادة في اوقات النوم والعلف . ثم اختبرهُ في الحمير والثيران فوجد ان عمل الحمار لم يزدد الا ٩ في المئة والثور ازداد عملهُ ١٣ في المئة فدلّ ذلك على انهُ كلما كان الحيوان اشدّ بنيةً كان اشدّ افتقاراً الى الراحة

مقاومة السلّ ـ خصص المسترجون رُوكفلَر احد اصحاب المليارات من الاميركان مبلغ خمسة وثلاثين مليون فرنك لاقامة مستشفى للسل يُبحث فيهِ عن مصلٍ لهذا الدآء وسيوكل هذا البحث الى اطبآء كلية شيكاغو

(١) السكن الخليل تسكن اليهِ (٢) متفرق

آثار ادبيّة

الراوي ـ هو اسم جريدة يومية سياسية تجارية ينشرها حضرة الفاضل السريّ يوسف بك طلعة وقد تصفحنا الاعداد الاولى منها فالفيناها معتدلة الخطة نزيهة المقاصد مشتملةً على كثيرٍ من شريف المباحث وجليل الفوائد وقيمة اشتراكها السنوي ١٥٠ غرشاً في القطر المصري و ٥٠ فرنكاً في الخارج فنتمنى لها الانتشار والثبات

الاخآء ـ هو عنوان الجريدة التي كانت قد ظهرت منذ نحو ثلاث سنوات لحضرة صاحبها الاديب محمود افندي كامل كاشف قد عاد الى نشرها في هذه الايام بشكل مجلةٍ ذات ٣٢ صفحة تصدر مرةً في الشهر وقد وردنا الجزء الاول منها فوجدناهُ مشتملاً على عدّة نبذ مفيدة وقصائد رائقة لبعض اكابر شعرآء القطر فنحث الادبآء على مطالعتها وقيمة اشتراكها ٥٠ غرشاً في السنة

محاضرات الادبآء ومحاورات الشعرآء والبلغآء للراغب الاصفهاني ـ طُبع هذا الكتاب في مطبعة الهلال مختصراً بقلم حضرة الاديب ابرهيم افندي زيدان وهو سفرٌ جليل الفائدة يشتمل على كثير من الحكم والآداب ونوادر الاخبار والاشعار. يُطلَب من مكتبة الهلال بالقاهرة وثمنهُ ١٥ غرشاً مصرياً واجرة البريد غرشان ونصف

فكاهات

حياةٌ بحياة (١)

كان يُرى على شاطئ البحر في الجهة الشمالية من بريطانيا كوخٌ حقير مبني من بعض الاخشاب والتراب يقيم فيهِ رجل وزوجتهُ وولدٌ صغير لهما يدعى ارمان . وكان الرجل صيادًا متقدمًا في العمر لم يبقَ لهُ من طرق العمل والكسب الاَّ صيد الاسماك فيحملَ ما يصيدهُ الى اول بلدةٍ تقرب من كوخهِ فيبيعهُ بثمنٍ بخسٍ ويبتاع القوت الضروري لهُ ولامرأتهِ وولدهِ . وكثيرًا ما كان يحدث ان يلمَّ بالرجل اعتلال أو يمنعهُ هيجان البحر من الصيد فيبيت اهل ذلك الكوخ ليلتهم بدون قوت عرضةً لانياب الجوع والبرد الشديد غير انهم احتملوا مصائبهم صابرين ووطنوا انفسهم على مقارعة الخطوب واستقبال القدر كيف جآء . ومضت عليهم في تلك الحال سنوات عديدة الى ان بلغ ارمان الحادية عشرة فكان يساعد والدهُ وقد اصبح شيخًا ضعيف الهمة في حمل الصيد والقآء الشباك ورفعها

وفي ذات يومٍ عاد الصياد الى بيتهِ مسآء وعلامات اليأس بادية على وجههِ فاستقبلتهُ زوجتهُ كعادتها بوجهٍ باش وجعلت تسليهِ وتسرّي عنهُ لانها كانت تكتم في صدرها ما تقاسيهِ من شظف العيش ومرارة الحياة واذا عاد زوجها استقبلته بحنانها و بدّلت جحيم كدرهِ بجنة مؤاساتها فينسى المسكين همهُ ويخال نفسهُ في نعيم . و بعد ان جلسا حينًا قالت لهُ ما لي اراك ايها العزيز على خلاف العادة لا تبدد تسليتي اياك غيوم الهموم المنتشرة على وجهك . قال اواه ايتها الحبيبة انهُ لا يمكن ان ندوم على هذه الحال فانني شاعرٌ بتناقص قواي يومًا فيومًا فاذا منعني الكبر والضعف عن تحصيل القوت فماذا يحل بنا وكيف يتمكن ولدنا الصغير من القيام بثلاثة

(١) معرّبة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

اشخاص وهو لا يكاد يعرف حتى الآن كيف يلقي شبكتهُ ولا تقوى يداه الضعيفتان على هذا العمل الشاق . بل اي مستقبلٍ يرجى لهُ الا أن يعيش كما عاش والداهُ في هذه الارض المقفرة و بلوغ الحالة التي نحن فيها . قالت خفف عنك يا عزيزي فان للكون خالقًا يعتني بأمورهِ ويدبر احوالهُ فهو لا يتركنا في زمن الضيق والشيخوخة ولن يتخلى عن ولدنا هذا . فقال الصياد لا اشك في ذلك ايتها الحبيبة لكنني لا انكر ان على الانسان السعي وعلى الله التدبير . وقد قابلتُ اليوم البائع الذي يشتري مني السمك وسألني عن احوالي فبسطت لهُ حقيقة ما نحن فيهِ وهو الذي وجه افكاري الى مستقبل ولدنا ارمان وقد نصحني نصيحةً اراها في منتهى الحكمة ولكنني ينفطر قلبي عند تصور امكان حدوثها . قالت وما هي هذه النصيحة. قال اشار عليَّ ان ارسل ارمان الى باريس فانهُ اذا بلغ تلك المدينة العظيمة لا يعدم وسيلة الاستخدام في محلٍ ما ولهُ في اجتهادهِ ونشاطهِ وذكائهِ كافلٌ بتقدمهِ عسى الله ان يأخذ بيدهِ فيبلغ يومًا سعادة الاستقلال بعملٍ خاصٍ لهُ . فصاحت الزوجة المسكينة ماذا تقول . . وكيف نحيا اذا بعد عنا ولدنا الوحيد وهو رجآء حياتنا في ايامنا الاخيرة. فقال الصياد وقد ترقرقت الدموع في وجنتيهِ هذا ما يكسر قلبي ايتها العزيزة ولكنني ارى نفسي من الجهة الاخرى مسؤولاً عن سعادة الولد ومستقبلهِ وليس من العدل ان نضحي مستقبل هذا الولد لمجرَّد سرورنا ومراعاةً لعواطفنا الابوية ونحن في حالة فقرٍ وليس في يدنا ما نعوض عليهِ بهِ بعد مماتنا . وكانت نتيجة هذه المحادثة ان قام الاثنان عن الطعام ولم يذوقا شيئًا منهُ فانزوى الرجل الى جانب الغرفة واطرق مفكرًا وقامت الوالدة لرفع الطعام وقضآء اشغالها البيتية وهي ساكتة صامتة ولما انتهت جلست على سريرها وتضرعت الى الخالق عزَّ وجل ان يدبر ما يراهُ

ولم يفت ارمان كلمة من حديث والديهِ فلما ناما بقي مستيقظًا يفكر فيما سمعه ويحللهُ في رأسهِ الصغير الى ان تكاثرت عليهِ الآمال فاتعبتهُ ونام نومًا هادئًا حلم في اثنائهِ انهُ سافر الى باريس واقام فيها وانهُ اصبح ذا مالٍ فاستقدم اليهِ والديهِ وعاش واياهما بمنتهى السعادة والسرور. فلما استيقظت والدتهُ صباحًا رأت فمهُ الصغير وقد

رُسم على شفتيهِ الحمراوين تبسمٌ لطيف اعارهُ جمالاً ملائكيًا فانحنت عليهِ وقبلتهُ بمنتهى الحنو والحب . فاستيقظ ارمان ورأى والديهِ بجانب مضجعهِ فقال اهلاً بكما فكيف تريان بيتي الجديد . ثم اجال نظرهُ في الكوخ فعلم انهُ كان لا يزال تحت اضغاث الحلم فضحك وقص عليهما حلمهُ . ثم قال لابيهِ دعني اذهب يا ابتاه الى باريس لاني اعتقد ان حلمي لم يكن الا وحياً يدلني على الطريق الذي يجب ان اقصدهُ . فقالت والدتهُ دع عنك هذه الافكار يا ولدي فأنت لا تقوى على السفر وهب انك سافرت وبلغت باريس سالمًا فمن يضمن لنا انك تجد فيها عملاً وماذا يحل بك في الغربة وانت بدون عملٍ ولا دراهم . قال لا يخلق الله يا اماه انسانًا ويهملهُ فلا يتركني اموت جوعاً وان لم اصل الى حالةٍ احسن من الحالة التي انا فيها الآن فلست بواصلٍ الى ادنى منها . فقال والدهُ قد تكلمت صوابًا ايها الحبيب وما كنت لامنع سفرك من الآن لولا خلوّ يدي ولو من مبلغ يكفي لان تصل بهِ الى باريس . فقال ارمان لا لزوم لذلك يا ابتاه فان غاية ما يلزمني قوتُ يوم يوصلني الى اول بلدةٍ في طريقي فمتى بلغتها لا اراني اعدم فيها وسيلة للعمل وتحصيل قوت يوم آخر يوصلني الى بلدةٍ اخرى وهكذا الى ان ابلغ باريس . فقالت والدتهُ وكيف يطاوعني قلبي ان ادعك تسافر وحدك هذه المسافة الطويلة . قال خفّي عنكِ يا اماه فليس في الطريق وحوش مفترسة ولا اخاف من اللصوص اذ ليس معي ما يطمعهم فيَّ . وانتهى الجدال بين هؤلآءِ الثلاثة على قرارهم وموافقتهم على سفر ارمان في اليوم الثاني فأخذ الصياد شباكهُ وتوجه الى الشاطئ ليصرف عنهُ الشجن وحضنت الام ولدها طول نهارها وهي كلما سمحت لها دموعها ان تتكلم تزودهُ بالنصائح والارشادات . ثم فتحت صندوقها فأخرجت منهُ علبةً صغيرة ملفوفة بمزيد الحرص وكان فيها عشرة فرنكات فأعطتها لارمان وقالت لهُ هذا كل ما امكنني جمعهُ في هذه السنوات الاخيرة يا بنيَّ ولا حاجة لي بهِ فخذهُ واحرص عليهِ الى وقت الحاجة

وفي صباح اليوم الثاني جهز ارمان نفسهُ واعدت لهُ والدتهُ طعامًا فسار ورافقهُ والداهُ الى مسافة من كوخهما فأعادا الوداع وكان موقفهما يكسر القلب ولحظ ارمان

ذلكَ فابتعد عنهما مسرعاً و هما يراقبانهِ الى ان غاب عن اعينهما فعادا اشباحاً بلا ارواح حتى بلغا الكوخ فانزوى كلٌّ منهما في زاويةٍ فكان مثال اليأس والحزن والكدر

وسار ارمان مسروراً يعالل نفسهُ بالآمال ويغني لحناً تعلمهُ من والدتهِ في ايام الصغر . وكان الثلج مغطياً طريقهُ فشعر ببرد شديد فجعل يعدو الى ان اعيا ورأى على جانب الطريق حجراً فجلس عليهِ ثم اخرج طعامهُ وجعل يأكل منهُ شيئاً . و بعد ما استراح قليلاً شعر ببرد عظيم ثم تذكر والديهِ ورأى نفسهُ وحيداً تائهاً في العالم الواسع فتساقطت دموعهُ وتغلبت عليهِ العواطف الصبيانية فأخذ يعول وينتحب . ثم كأن قوةً جديدة تولدت فيهِ فنهض وعاد الى عدوهِ كالاول ليتناسى افكارهُ المؤلمة وادركهُ المساء فأجهد نفسهُ الى ان بلغ بلدةً بعد غياب الشمس . فأخذ يسير في احد شوارعها وهو يتلفت الى اليمين والشمال فرأى بنايةً رحبة امام بابها رواق فسيح ورأى في اعلاها صليباً فعرف انها كنيسة فمال الى الرواق وجلس في احدى زواياهُ ثم عاد الى تناول طعامهِ وكانت قد دبت فيهِ الحرارة فشعر بثقل اجفانهِ فتلا صلاةً كان قد تعلمها من والدتهِ ونام على مقعدٍ خشبي الى ان لاح الفجر

وحالما دارت حركة العمل في البلدة كان ارمان يتجول في ازقتها وهو يعرض نفسهُ على اصحاب المخازن فمنهم من طلب منهُ ان يكنس لهُ المحل ومنهم من كلفهُ حمل بعض الامتعة ليوصلها الى مكان آخر فشعر بلذة العمل ولا سيما عند ما انتهى النهار ووجد انهُ ابتاع طعامهُ للغد و بقي معهُ فرنك اضافهُ الى ما اعطتهُ اياهُ والدتهُ وعاد الى الرواق امام الكنيسة ونام في الليلة الثانية براحةٍ تامة . ولما اصبح استأنف مسيرهُ الى جهة باريس بعد ان استدل على وجهتها وعرف اسم اول بلدةٍ على طريقهِ اليها . وما زال على هذه الحالة يتنقل من بلدةٍ الى اخرى حتى لم يبقَ بينهُ و بين باريس سوى مرحلةٍ واحدة . وعلم ان تلك المرحلة طويلة فمكث حيث كان يومين ليستريح ويقوى على قطع المسافة التي عليهِ اجتيازها ولما كان اليوم الثالث امطرت السماء مطراً غزيراً وتساقط الثلج بكثرة فاضطرَّ الى البقاء يومين آخرين ثم عاد الى استئناف مسيرهِ فانطلق تدفعهُ الرغبة الى الامام ويقويهِ الافتكار براحة والديهِ

على احتمال المشقات التي تعترض دون اتمام بغيته

وما انتصف عليهِ النهار حتى رأى طريقةُ مكسوةً بالثلج فتاه عنها وجعل يخبط في ذلك السهل متبعاً الوجهة التي يظن انها تؤدي الى باريس وخشي ان يدركهُ الليل قبل بلوغها فكان يقفز كالايل على تلك الارض البيضآء وما زال كذلك الى ان آذنت الشمس بالمغيب ورأى على نور الشفق قمم بنايات باريس وقباب كنائسها فسُرّي عنهُ واخذ يتابع سيرهُ مطمئناً . وسمع في اثنآء سيرهِ صوتاً ضعيفاً فاقشعرّ جلدهُ ووقف هنيهةً فتبين الصوت فاذا بهِ صراخ طفل فتعجب من وجودهِ في ذلك القفر المغطى بالثلوج ودفعتهُ الرغبة ان يستطلع امر هذا الطفل فقصد جهة الصوت الى ان بلغ وهدةً فوجد فيها امرأةً مطروحة على الارض وقد غطى الثلج نصف جسمها وهي تضم الى صدرها طفلةً صغيرة لا يزيد عمرها عن السنتين وقد خلعت الام اكثر ثيابها ولفّت بها طفلتها لتقيها من الموت برداً ولو كلفها ذلك بذل حياتها . وهال ارمان هذا المنظر فوقف حيناً لا يدري ماذا يفعل ثم اقترب الى الام وناداها فلم تجب فلمسها بيدهِ واذا هي كقطعةٍ من جليد فجعل يحرك جسمها ويضع اذنهُ على صدرها فوجد انها ميتة ولا امل في اعادة الحياة اليها فتحول الى الطفلة ورفعها بين ذراعيهِ فنظرت اليهِ بعينين زرقاوين وكأنها استأنست بوجودهِ فتبسمت وحاولت ان تطوق عنقهُ بيديها الصغيرتين . وألقى ارمان نظرةً اخيرة على تلك الجثة الهامدة فرأى انهُ لم يبقَ عليها الا اليسير من ثيابها وفي زندها محفظة جلدية صغيرة مقفلة فأخذها مع الطفلة ثم كانهُ رعبهُ منظر المائتة فابتعد عن تلك البقعة مسدداً خطواتهِ الى جهة باريس . و بعد بضعة ايام لما ذاب الثلج رأى الفلاّحون جثة تلك الام التي قضت شهيدة حبها لطفلتها فلم يعرف احد عنها شيئاً فنقلت الى باريس ودفنت في مقبرة الغربآء وكُتب على قبرها تاريخ ومحل وجود جثتها

اما ارمان فبلغ باريس حاملاً الطفلة وهو يبذل جهدهُ في مداراتها . وكأن قوة غريزية نبهتهُ الى ان الطفلة في حاجة الى القوت ومرَّ امام حانوت لبّان فاشترى منهُ قليلاً وجعل يطعم الطفلة بيدهِ بحنوّ لا يُفرَق عن حنوّ الأمّ . وما انتهت

الطفلة من طعامها حتى القت رأسها على صدر ارمان وغرقت في سبات النوم . وكان ارمان قد استراح قليلاً فاستأنف سيرهُ في شوارع تلك المدينة العظيمة وهو حامل الطفلة بين يديهِ حتى بلغ قصرًا رأى على بابهِ حارساً فاستأذنهُ في المبيت تلك الليلة على جانب الباب فشفق الرجل عليهِ وادخلهُ الى غرفتهِ فوضع الطفلة بكل هدوء على الارض ثم تناول من زادهِ شيئاً وكان قد بلغ منهُ التعب فتمدد بجانب الطفلة وضمها الى صدرهِ ونام . ولما كان الصباح نهض ارمان فشكر الحارس لضيافتهِ ثم حمل الطفلة الى حيث ناولها الطعام كالليلة السابقة . وكان النهار دافئاً والجوّ مصحياً فجعل يطوف بها باحثاً عن خدمةٍ يسوقهُ اليها القدر ولكنهُ قضى اليوم الاول والثاني بدون جدوى ووجد انهُ قد انفق من مالهِ مبلغاً بدلاً من ان يزيدهُ . وكان لا يدري ماذا يفعل بالطفلة وهي سبب منعهِ من وجود عملٍ يعملهُ فجلس يوماً على رصيف شارع ووضع الطفلة على ركبتيهِ ثم اسند رأسهُ الى يدهِ وغاص في تأملاتهِ . ومرّ بهِ فتى فقال لهُ مازحاً هل انابتك امك عنها في تربية ابنتها . فتذكر ارمان والدتهُ فانحدرت دمعة على وجنتهِ ثم قال اواه يا ليت امي هنا أو يا ليت أم هذه الابنة لم تمت . ثم دار بينهما الحديث فأخبر ارمان الفتى بقصتهِ فقال لهُ اشير عليك اذن ان تأخذ هذه الطفلة الى دير الراهبات فانهنّ اجدر منك بتربيتها فضلاً عن انهُ ليس في طاقتك ان تبقيها معك ولا بيت لك ولا عمل لديك . فاستحسن ارمان مشورتهُ واستدل على احد اديار الراهبات فذهب اليهِ وطلب مقابلة رئيستهِ واعلمها بأمر الطفلة فأخذتها منهُ ثم سلمها المحفظة الجلدية وقال اظن ان من الواجب حفظ هذه كما هي الى ان تكبر الابنة وتستلمها لانها ارثها الوحيد من والدتها فاستلمتها الراهبة منهُ . ولما همّ بالخروج شعر بحزن لمفارقة طفلتهِ فقبلها مرارًا ومسح دموعهُ بكمهِ وخرج

وكان ارمان اينما ذهب يرى في طريقهِ نفرًا من الجنود الفرنسوية فيتوق الى الانتظام في سلكهم والارتداء بملابسهم ولكنهُ علم ان الجندي كثير التنقل معرّض للاخطار وهو يفكر في عكس ذلك اي انهُ يسعى للاقامة في نفس باريس واصلاح حالهِ ليأتي بوالديهِ . ولم تمضِ عليهِ مدة طويلة حتى استُخدم في محلٍّ تجاري بأجرةٍ حسنة

فاكترى غرفةً وايقن ان نجم سعادته قد قارب الاشراق . وقضى ارمان في باريس ست سنوات يدأب في عمله مواظباً مجتهدًا منتبهاً الى دخله وخرجه فتوفر لديه مبلغ من المال ليس بقليل فاستأذن رئيسهُ وسافر الى والديه ليبشرهما بنجاحه ويحضرهما بصحبته . ولما بلغ مسقط رأسه توجه الى الشاطئ حيث كان الكوخ فرأى مكانهُ انقاض ذلك البنآء الحقير ولدى البحث والسؤال من جماعة الصيادين المقيمين في تلك الجهات علم ان ابويه توفيا من مدة طويلة وانهما مدفونان تحت انقاض ذلك الكوخ . فأظلمت الدنيا في عيني ارمان وعاد الى البلدة المجاورة فاكترى عمالاً رفعوا انقاض البنآء وبنى لوالديه ضريحاً قضى بجانبه اياماً يندبهما ويسقي ثرى الضريح من دموعه ثم رجع الى باريس وقد عزف نفسهُ للمرة الاولى في حياته انهُ اصبح يتيماً وحيدًا في العالم الكبير . ولم يعد ما يحول دون بغيته في خدمة الجندية فدخل في سلكها وكان لهُ من اجتهاده وذكائه وما كُتب لهُ من التوفيق ما ساعدهُ على الارتقآء فما عتم ان سمي رئيساً لفرقةٍ من الحرس

وبلغ ارمان الخامسة والعشرين من عمره وقد اكتمل بنآء جسمه واشرق وجههُ بنضارة الشباب وكانت ملابسهُ العسكرية تزيدهُ رونقاً وجمالاً وتقرباً من قلوب ناظريه واصحابه . واحبهُ ناظر الجهادية فعينهُ محافظاً للأمن في الجهة الشرقية من باريس فسار بفرقته الى محل عمله واكترى بيتاً فاقام فيه . وحدث يوماً انهُ فتح نافذتهُ صباحاً فرأى على الجانب الآخر من الشارع بيتاً قد فُتحت نافذتهُ فبان داخلهُ ووجد في تلك الغرفة فتاةً جالسة على كرسيٍّ واماما قطعة من النسيج الحريري تشتغل اناملها بتطريزها . وحانت من الفتاة نظرة فرأى ارمان وجهها فشعر بسهمٍ اصاب فؤادهُ ولا عجب فانهُ لا عمل لاله الحب سوى ان يريش مثل هذه السهام كلما سنحت لهُ الفرصة . وشعرت الفتاة بوقوع نظر ارمان عليها فاستحيت وعادت الى شغلها فلبثت مدة قصيرة ثم نهضت عن كرسيها وغابت عن نظره . اما ارمان فلم يفارق غرفتهُ في كل ذلك النهار وهو يسير فيها ذهاباً واياباً ويتطالُّ بنظره الى النافذة لعلَّ فاتنتهُ ترجع الى عملها فيراها مرةً ثانية . ودخلت عليه

صاحبة البيت وقد احضرت لهُ طعام المسآء فجعل يحادثها ثم تطرق الى السؤال عن الجيرة فعرف منها ان الفتاة تدعى اماليا وانها يتيمة تسكن في بيت رجل شيخ حرفتهُ التعليم وانها تشتغل بالتطريز وتتكسب منـهُ فتحصل في كل شهر ما يقوم بنفقات سكناها وكسوتها وربما ادخرت من دخلها شيئاً . ثم اخذت المرأة تطنب في مدح اماليا وانها منذ جآءت الى ذلك البيت اي من مدةٍ تزيد عن سنة لم ترَ منها سوى العفة والوقار والحرص والاجتهاد . فازداد ارمان ولعاً وتاق الى مشاهدة اماليا مرة اخرى والتعرف بها . وما صدق ان جآء اليوم الثاني حتى اطلَّ من نافذتهِ فرأى الفتاة في عملها كالمرة الاولى . ثم نظرت فرأتهُ فصُبغ وجهها بلون القرمز وكاد هو ان يفقد تنفسهُ . ودامت الحال على ذلك اياماً لا يرى ارمان اماليا ولا تراهُ الا مرةً واحدة في اليوم ولم يحصل بينهما كلام ولم يدر يا ان رسل الهيام الغير المنظورة كانت تتبادل بينهما رسائل الحب بلغةٍ سرية لم يتمكن البشر الى الآن من حل رموزها وضبط حروفها . وكانت مدة تراسلهما بالنظر تطول يوماً عن يوم فتحقق ارمان ان عند الفتاة مثل ما عندهُ من الهيام فتجاسر يوماً وحنى لها رأسهُ مسلماً فاجابتهُ بالمثل فبقي ذلك اليوم بطولهِ مسروراً فرحاً كانهُ رقي العرش الملكي . واصبحت عرى الوله محكمة بين العاشقين ولكن لم يجسر احدهما ان يبدأ الآخر بالحديث

وكان ناظر الحربية لا يفتر عن مراقبة ارمان فاعجبهُ جداً بحسن سلوكهِ وذكائهِ الخارق عدا ما رأى فيهِ من النفس الابية ودلائل الشرف والعظمة . فاستدعاهُ اليهِ يوماً واخبرهُ انهُ يودّ مفاتحتهُ بامرٍ سري عظيم الاهمية وسألهُ اذا كان يثق بشرفهِ ان يقوم بما سيعرضهُ عليهِ وانهُ مخير في القبول او الرفض بشرط ان يعاهدهُ على عدم افشآء سرّهِ لمخلوق . فاقسم ارمان للناظر بشرفهِ وتربة والديهِ ان لا يخالف لهُ رغبةً فاكتفى الناظر بهذا القسم فادخل ارمان الى غرفـة سرية و بعد ان اخذ التحفظات اللازمة جلس بقربهِ وقال لهُ اعلم ياعزيزي ارمان ان المملكة الفرنسوية الآن منقسمة الى حزبين احدهما يعضد كافل الملك الدوق دورليان والحزب الاخر يكرههُ ويستهجن سياستهُ ويرى ان بقآء هذا الدوق في منصبهِ مجلبة للدمار والويل

على وطننا المحبوب . وانني انا من هذا الحزب الاخير الذي يضم اعاظم رجال فرنسا ونخبة اشرافها . ولما لم يكن من الممكن خلع الدوق ولا اقناع الملك بعزله قررنا وجوب التخلص منهُ وعلمنا انهُ يزور في بعض الليالي ابنتهُ في ديرها فيرجع من هنالك ليلاً بعربتهِ وحدهُ ولا حرس يرافقهُ فرأينا ان نعين اناساً يكمنون لهُ في طريقهِ حتى اذا كان عائدًا يخطفونهُ ويذهبون بهِ الى اسبانيا ولنا هنالك انصارٌ من حزبنا فيبقى اسيرًا عندهم الى ما شآء الله . وقد اعددنا جوازات السفر وكل التدابير المستلزمة ولم يبقَ علينا سوى اختيار الباسل الذي يعهد اليهِ في هذا العمل وقد ضمنت للحزب ايجادهُ اعتمادًا عليك وثقةً بك فهل اخطأت في زعمي يا ارمان . فقال ارمان وقد تهلل وجههُ فرحًا لاعتماد ناظر الحربية اياهُ وثقتهِ بهِ وقال امرك مطاع يامولاي وكان في امكانك ان تؤكد للحزب انَّ الشخص موجود قبل ان تسألني . فقال الناظر هذا ما كنت ارجوهُ ايها العزيز واعلم انهُ اذا نجحنا في مسعانا هذا فلا تكاد تفرغ من هذه المهمة حتى ترى نفسك في ديوان النظارة الحربية مادًّا يدك للقبض على قضيب المارشالية . فقال ارمان لا تعدني بالمكافأة يامولاي لئلا يُظن انني مأجورٌ لهذا الفعل وانا اود ان افعلهُ عن طيبة خاطر . فقال الناظر قد اظهرت لك جزآء الفوز كما اني لا اخفي عنك ان دون اتمام الامر خطرًا جسيماً وانك اذا عاندك القضآء وعُرفت قبل القيام بذلك لا يكون جزآؤك الا الموت العاجل . فقال ارمان متبسماً سترى يامولاي ان سيري الى القبر لا يختلف عن سيري الى المجد . قال حسنٌ ولكن ربما تُعذَّب للاقرار باسمآء من تعرفهم من رجال حزبنا . قال كن مطمئن البال يامولاي فان عذابات العالم باسرهِ لا تقوى على ان تفتح شفتي ارمان اذا شآء ان يطبقهما . فقال الناظر لا عدمتك ايها العزيز وانهُ يمكنني بعد ما رايتهُ فيك ان ادخلك الى الجلسة الحافلة بحزبنا وهم ينتظرون الجواب فاتبعني . ولما قال هذا اخذ يد ارمان وقادهُ الى باب قريب وضغط زرًّا ففتح الباب ودخلا دهليزًا انتهى بهما الى غرفةٍ فسيحة منارة بنور ضعيف ورأى ارمان نفسهُ في حضرة جمهور من الكبرآء عرف اكثرهُ . فأخذ الناظر يقص عليهم ما دار بينهُ وبين ارمان فأظهر الجميع

اعجابهم بيسالة الفتى واثنوا عليـه ثم اعلموهُ ان الدوق سيذهب لزيارتهِ المعتادة في مسآء الغد . فتكفَّل ارمان ان يبذل جهدهُ للقيام بتلك المهمة فصافحوهُ جميعاً متمنين لهُ الفوز واعطاهُ الناظر مبلغاً وافرًا من المال ليستعين بهِ على اغرآء مساعدين لهُ اذا دعت الحاجة . فانصرف ارمان وهو لا تكاد رجلاهُ تلمسان الارض لاعجابهِ بنفسهِ وقد اصبح مستودعاً في صدرهِ سرًّا هائلاً تهتز لهُ رؤوس كبار الفرنسويين وتقف حياة اعظمهم مقاماً على النطق بكلمةٍ واحدة من فمهِ . واستغرقت زيارة ارمان للناظر القسم الاعظم من الليل فلم يبلغ غرفتهُ الا في الساعة الرابعة صباحاً وعلم ان امامهُ في الليلة الثانية عملاً شاقًّا وسهرًا طويلاً فنزع ثيابهُ وانطرح على سريرهِ ملتمساً الراحة

ولم يستيقظ ارمان من نومهِ الا قرب انتصاف النهار فهبَّ مذعورًا وتوجه حالاً الى نافذتهِ فأطلّ على غرفة الفتاة فوجد انها قد غادرت عملها فعضَّ على اناملهِ اسفاً ثم جلس في غرفتهِ يفكّر في كيف يقوم بالمهمة التي فوضت اليهِ فرأى ان لا يعتمد على احد لمساعدتهِ وان يكتفي بقوتهِ وحدهُ . ثم جال في فكرهِ ما سيلاقيهِ من الاخطار وما يحتمل ان يصادفهُ من الفشل وانهُ ربما يلقى عليهِ القبض ويحكم عليهِ بالاعدام فطار رشدهُ لا خوفاً من الموت بل خوفاً من ان يموت دون ان يرى حبيبتهُ اماليا . وبقي ارمان على هذه الحالة الى ان ولّى النهار ولم يفز برأى حبيبتهِ فعمد الى رقعةٍ كتب عليها ما يأتي :

« يا منتهى املي

لم يسبق بيننا خطاب ولا مراسلة وقد عرفت اسمكِ وانكِ يتيمةٌ وحيدة وانا كذلك وهذه المساواة بيننا تقوي املي انكِ تحبينني كما احبتكِ حبًّا لا يقوى الموت على نزعهِ من صدري . سأغيب ايتها الحبيبة بضعة ايام لقضآء مهمة عظيمة وشديدة الخطر فأطلب من قلبكِ الطاهر ان تتضرعي الى الله من اجلي لاعود سالماً . وان لم ارجع في نهاية هذا الاسبوع فيكون قد قضي عليّ واذ ذاك فلا اطلب منكِ سوى ذكري والاعتقاد بأني محبكِ المخلص　　ارمان »

ولما انهى كتابة الرقعة ربطها الى حجر صغير ورمى بها الى غرفة اماليا ثم تمنطق

بسيفه واخفى غدارتين في ثيابه وخرج من البيت تسوقهُ المقادير وتقودهُ الآمال حتى بلغ البقعة المقفرة التي علم ان الدوق سيمرّ فيها فتربص في مكمنٍ وجعل ينتظر قدوم فريسته

وعند الساعة العاشرة ليلاً سمع ارمان وقع حوافر جياد العربة فاقشعرّ بدنهُ ثم نهض فتقدم الى جانب الطريق واخذ بيديه غدارتيه فما وصلت العربة الى جانبه حتى وثب كالليث المفترس فصوب الغدارة الواحدة الى صدر الدوق والاخرى الى الحوذي وصاح بهما ان من باشر حركة واحدة تخترق رصاصتي صدرهُ. فاستوقف الحوذي الجياد وقال الدوق بصوته المعتاد وبغاية اللطافة وماذا تريد منا ايها الفتى . قال اريد ان تتبعني بدون ممانعة البتة وان تقسم لي بشرفك انك تفعل قبل ان اردّ يدي . فقال الدوق لا شك انك فرنسوي يا هذا ولا يفعل الفرنسوي الا ما يعود بالخير على وطنه فأنا اقسم لك بشرفي انني لا امانعك في شيء مما تنوي عملهُ الى ان اعرف غايتك . ولم يشعر ارمان في اثنآء مخاطبته الدوق ان فرقةً من الجنود كانت تتسلل من بين تلك الادغال تحت غلس الظلام حتى اقتربت منهُ ووثب اربعة منها على ارمان فألقوهُ الى الارض موثقاً في اقل من طرفة عين . وكان السبب في ذلك ان بعض شرطة الدوق عرفوا بأمر المكيدة وتفاصيلها فأخبروا الاب ديبوا كاتم اسرار الدوق فوجّه هذه الحامية لانقاذ مولاهُ واحباط سعي المؤتمرين

وأُخذ ارمان الى الباستيل حيث احتمل اصناف العذاب للاقرار عن بقية رفاقه في هذه المكيدة فانكر ان لهُ رفقآء وقال انهُ انما اراد الانتقام من الدوق لعداوة شخصية يضمرها لهُ ثم حوكم وحُكم عليه بالاعدام

اما اماليا فلما عادت الى غرفتها وجدت فيها رسالة ارمان فأخذتها بيد مرتجفة ولم تفرغ من تلاوتها حتى تساقطت دموعها ثم جثت امام ايقونةٍ معلقة على جدار الغرفة فابتهلت الى الله بحرارة فائقة سائلةً لحبيبها النجاة والعودة بسلام . ثم جعلت تراقب يومياً غرفة ارمان فلم ترهُ فيها وكانت اخبار محاولة الفتك بالدوق قد ملأت باريس فسمعتها اماليا وبلغها ان صاحب المكيدة ملقىً في سجن الباستيل ينتظر نفاذ

الحكم باعدامهِ . ولما انتهى الاسبوع ولم يعد ارمان فرغ صبرها وكادت تفقد عقلها فوالت البحث والسؤال فعرفت انهُ هو نفس حبيبها وان موعد اعدامهِ في الغد فعادت الى غرفتها حيث استخرطت في البكآء وقضت نهارها في التضرع والصلاة

ولما كان اليوم الثاني نهض ارمان في سجنهِ وقد شعر باقتراب ساعة اعدامهِ فمر على مخيلتهِ ذكرى والديهِ ثم اشخاص المكيدة الذين حافظ على كتم سرهم ثم حبيبتهِ اماليا وهنا تراكمت عليهِ الاحزان وتشردت افكارهُ فغاص في بحار التأملات ولم ينتبه الاَّ عند ما فتح باب سجنهِ فراى جنديين بحرابهما يأمرانهِ بالخروج فسار امامهما بدون وجل كانهما يقودانهِ الى حفلة سرور وليس الى النطع الى ان بلغا بهِ غرفة حاكم الباستيل. وهناك وجد ارمان شخصاً مرتديًا السواد وعلى وجههِ نقاب ثقيل فاشار الحاكم الى ارمان وقال للشخص هوذا السجين فخذهُ واتبع الاوامر المعطاة لك. واذ ذاك نهض الشخص فاقتاد ارمان وخرجا من الغرفة وكان في ساحة الباستيل عربة مطبقة فاشار الشخص الى ارمان ان يدخلها ففعل وتبعهُ الشخص وسارت العربة بهما حسب الاوامر المعطاة للسائق . و بعد مسير نحو ساعة ونصف لم يتكلم الشخصان فيها قط وقفت العربة. واذ ذاك اخرج الشخص المجهول رقعةً من صدرهِ ناولها لارمان وقال لهُ اقرأ هذه . ففتحها ارمان بيدٍ مرتعشة واذا فيها ما ياتي

«قد حاولت ان تفتك بي في هذا المكان فقصاصاً لك اهبك حياتك في المحل نفسهِ وعساك ان لا تفكر بعد الآن في اذية كاتبهِ　　　فيليب دوق دورليان»

و بينما ارمان حائر في امرهِ كشف الشخص قناعهُ واذا بهِ اماليا بعينها . فصاح ارمان كمن رأى شبحاً وانطرح على مقعد العربة لافاً ذراعيهِ على عنق حبيبتهِ وألقت هي رأسها على صدرهِ . ولما ملك ارمان روعهُ عاد بحبيبتهِ الى بيتها وجلس بجانبها طالبًا منها تفسير ما حصل فقالت

كان ابي ضابطًا في الجندية وحارب مرة في موقعة تحت قيادة الدوق دورليان نفسهِ فحدث ان وجَّه احد الاعدآء سهماً مسموماً الى صدر الدوق ولم يكن من وسيلةٍ لاتقائهِ وكان ابي بجانب الدوق فوثب كلمح البصر واستقبل السهم بصدرهِ

فمات ابي ونجا الدوق . وكانت والدتي قد وضعتني قبل هذه الحادثة بيضعة ايام فما بلغها خبر والدي حتى استولى عليها مرض عضال لم تنجُ منهُ الا بمعجزة . ووجدت لديها بعد شفآئها كتاباً من الدوق يقول فيهِ انهُ يتأسف جدًّا على فقد والدي وانهُ وان يكن غير قادر على اعادة الموتى الى الحياة فهو بالخصوص وفرنسا بالعموم مديونان لوالدتي ولها ان تطلب منهما ما تشآء ليقوما بعملهِ لها . فحرصت والدتي على هذا الكتاب وحفظتهُ عندها مدة سنتين كانت تنفق فيها مما تركهُ لها والدي ولما ضاقت بها الدنيا واصبحت لا تملك شيئاً قصدت باريس وفي نيتها ان تطالب الدوق حسب وعدهِ بما يصلح حالها فعاجلتها منيتها وربيت انا في بعض الاديار وليس لي من ذكرى والديَّ سوى كتاب الدوق و بعض اوراق . فصرفت مدةً في الدير تلقيت فيها بعض العلوم والاشغال اليدوية ثم مللت حياة العزلة فخرجت وقد اتفقت مع الشيخ صاحب هذا البيت وكان يدرّس في الدير فاعطاني هذه الغرفة وكنت اطرز وابيع ما اطرّزهُ فادفع لهُ اجرة الغرفة واجمع لديَّ الباقي . ولما بلغني خبر سجنك وصدور الحكم عليك بالاعدام لبثتُ نهاري نائحة ضارعة ثم خطر لي في المسآء كتاب الدوق فكدت اجن فرحاً وللحال اخذتهُ وسرت الى القصر و بعد ممانعة طويلة ويأس عظيم أذن لي في الدخول الى حضرة الدوق وهو آية اللطف والكمال فاستقبلني بوجهٍ بشوش وسألني عما اريد فتلجلج نطقي اولاً ولكنني تصورتك امامي ايها العزيز ارمان فعادت اليَّ قوتي وتكلمت بفصاحة فاخبرتهُ بحالي كما هي واطلعتهُ على كتابهِ الى امي وقلت لهُ قد خلص ابي حياتك بفقد حياتهِ فخلص انت حبيبي بدون ان تخسر شيئاً . ولما عرفني الدوق قال اذًا انتِ ابنة منقذي من الموت وسقطت عبرةٌ من عينيهِ ثم اطرق مفكرًا كمن يحارب افكارهُ فيما يصمم عليهِ وانا شاعرة ان حياتي معلقة بين شفتيهِ

و بعد سكوت هنيهةٍ خلتها دهرًا اقترب الدوق من مائدةٍ فأخذ ورقةً وكتب عليها شيئاً وختمها بخاتمهِ . ثم كتب ورقةً اخرى دفعها اليَّ واوصاني ان اسلمها اليك كما فعلت وقال لي قد وهبتكِ حياة حبيبكِ ووفيت الدين القديم الذي عليَّ فعيشي

معهُ بسرور وتذكرا انهُ لم يبقَ عليَّ دينٌ لأَفيهُ مرةً اخرى ... ثم قرع جرساً فضياً فدخل بعض قواد الحرس الملكي فأعطاهُ الرقعة وقال لهُ خذ هذه الفتاة الى حاكم الباستيل وقل لهُ يفعل حسب اوامري هذه . فجئنا الباستيل وامروني ان اتقنع قبل ان تقابلني وتمَّ ما تعرفهُ ايها الحبيب

وكان ارمان شاخصاً الى وجه حبيبتهِ وهو لا يدري أفي يقظةٍ هو أم في منام فجعل يقبلها ويشكرها . ثم قال لها ذكرتِ ان والدتكِ توفيت حين كان لكِ من العمر سنتان فقط فكيف عرفتِ تاريخها ومن اين حصلتِ على الاوراق التي ذكرتها . قالت لما تضايقت والدتي كما اخبرتك حملتني واستصحبت المحفظة التي فيها هذه الاوراق وقصدت باريس لتطلب مساعدة الدوق فاعترضتها في طريقها الثلوج والبرد القارس وخافت عليَّ من الموت برداً فجعلت تنزع ثيابها فتلفني فيها و بعبارة اخرى بذلت نفسها لخلاصي وقضت في ذلك المدفن الثلجي . واتفق ان فتى كان ماراً من هنالك فالتقطني واخذني الى الدير الذي ربيت فيهِ ولما كبرت اخبرتني الراهبات بذلك وان جثة والدتي قد دُفنت في مدفن الغرباء فبحثت عن قبرها حتى عرفتهُ وكنت ازوهُ دائماً . ثم دفعني الشوق الى معرفة والديَّ ففتحت المحفظة ووجدت الاوراق وعلمت منها كل شيء . فلما سمع ارمان منها هذا الحديث بُهت ووقف كالمأخوذ ثم قال أو لا تعلمين من الفتى الذي التقطكِ من وسط الثلج . قالت قد بحثت عنهُ ايضاً فلم اقف لهُ على اثر وحبذا لو قُسم لي ان اراهُ لاقدم لهُ الشكر الذي يستحقهُ من خلص نفساً من الموت . فجثا ارمان امامها وقال بل قد وفيتهِ اكثر مما يستحق يا اماليا فقد انقذتِهِ من موت اشنع وانلتهِ اعظم سعادة بقبولكِ اياهُ حبيباً لكِ . ثم اخبرها بقصتهِ من البداءة الى تلك الساعة

واقترن ارمان باماليا فعاشا حياةً سعيدة لا يشوبها كدر وكانا يزوران في كل سنةٍ ضريح والديهِ ووالدتها